نحو التربية الإسلامية الحرة

أبو الحسن الندوي

المختار الإسلامي

أبو الحسن الندوي

نحو التربية الإسلامية الحرة

المختار الإسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة ص.ب ١٧٠٧
هاتف ٩٣٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

تمهيـــد :

ان مسألة التعليم فى البلاد الاســـلامية مســألة مستقلة قائمة بذاتها ، لأن الأمة الاسلامية أمة خاصة فى طبيعتها ووضعها ، هى أمة ذات مبدأ وعقيدة ، ورسالة ودعوة ، فيجب أن يكون تعليمها خاضـــعا لهذا المبــدأ والعقيدة ، وهذه الرسالة والدعوة ٠ و « التعليم » أداة لانشاء الأجيال التى تؤمن بهذا المبـــدأ ، وتدين بهـــذه العقيدة ، وتحمل هذه الرسالة ، وتؤدى هذه الدعوة ، وكل تعليم لا يؤدى هذا الواجب أو يغدر بذمته ، ويخون فى أمانته فليس هو التعليم الاســـلامى بل هو التعليم الأجنبى ، وليس هو البناء والتعمـــير بل هو الهــدم والتخريب ، وأولى للبـــلاد الاســلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية ، فالأميـــة خير لها من هذا التعليم الذى يزرأها فى طبيعتها وعقيدتها وروحها ٠

اذا فمهمة التعليم فى البـــلاد الاســلامية مهمة عسيرة معقدة ليست من السهولة بالمكان الذى يتصوره رجال التعليم فى بلادنا ، انه ليس مجرد تعليم العلوم والفنون ، ولغات وطنية وأجنبيـــة ، وآداب أهليـــة وأوروبية ، بل هو انشاء جيل جديد انشاء فكريا خلقيا ممتازا ، وذلك لا يتم بترجمة الكتب ، وجلب الأساتذة من الخارج وانشاء عدد كبير من الكليات والجامعات ، وارسال بعثات من الطلبة الى أوروبا وأمريكا ، انمـــا يحتاج الى شىء كثير من النبوغ والابتكار ، وشىء كثير من التأليف والانتاج ، فان هــذا التعليم يتطلب منهاجا

دراسيا خاصا لا يوجد الآن كاملا فى أى بلد من بلاد الاسلام فضلا عن بلاد الأجانب ·

مصدر صراع فكرى مشئوم :

وكلما استعير منهاج من بلاد غير اسلامية ، أو اختيرت كتب وضعت فى بلاد غير مسلمة ، ولناشئة غير مسلمة كان هذا المنهاج ، وكانت هذه الكتب قلقة نابية لا تفى ولا تساعد فى المطلوب ، ويكون الصراع مستمرا بين الفكر الاسلامى والروح الاسلامية ، وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة ، التى تنشأ بتأثير هذه الكتب ، ومفعول هذا النظام التعليمى ، وهذا الصراع ليس أقل شؤما لهذه الأمة ، ولا أقل جناية على حياتها وسلامتها ، من صراع الدين والسياسة ، والعقل والديانة فى أوروبا فى قرونها الوسطى ·

وقد تجلى هذا الصراع وعنف واستفحل فى جميع الأقطار الاسلامية ، التى أخذت العلوم الغربية برمتها ، والكتب المقررة فى البلاد الأجنبية أو الكتب الخالية من روح الدين ، على علاتها ، وطبقت نظام أوروبا أو بلاد أخرى فى التعليم فى بلادها ، أو أدخلت عليه شيئا من التعديل ، وقد دفعت لهذا التعليم وما جنت منه من فوائد مادية قيمة غالية جدا فى الأخلاق والروح والعقيدة ، وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد فى هذا النظام التعليمى ، وفى هذه المعاهد ودور التعليم الحديث ، كانت أكبر من ربحها ، فقد استنفد دعاة التعليم العصرى الحديث جهودهم

وأموال المسلمين فى انشاء هـــذه المدارس واقامتها ، واستخلصوا لها أفلاذ أكباد المسلمين وخيرة شبابهم ، فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلـــة واضطراب وتناقض فى الأفكار والآراء ، وشك وارتياب فى الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته ، وثورة على الآداب والأخلاق ، وضعف وانحطاط فى الأخـــلاق والسيرة ، وتقليد للأجانب فى القشور والظـــواهر ، وتبذير للأموال ، الى غير ذلك مما أصبح به هذا الجيل كلا على الآباء وعلى الأمة ، وجرثومة الفساد فى جسمها، ونقطة الضعف فى مركزها ٠

وضع منهاج للتعليم الاسلامي :

يعلم المطلعون عـلى حقـــائق العلوم وفلســـفة التعليم ، أن للعلوم والكتب روحا وضميرا ، كالكائنات الحية ، وهو باطن هذه العلوم ، والروح الســـارية فى الكتب ٠ فالعلوم التى أنشأها الاسلام ، وصاغها فى قالبـــه ، قد سرت فيها روح الايمـــان بالله والتقوى والخشية لله ، والفضيلة والايمان بالآخرة ، والعلـــوم التى وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم، وعلى روحهم الجاهلية ، وكذلك العلوم التى دونتهـا أمم أوروبا الملحدة ، والكتب التى ألفها أدباؤها وفلاسفتها، قد سرى فيها الالحاد والجمود ، والايمـــان بالماديات والمحسوسات فقط ، وقلة التقدير لما يأتى تحت الحس والوزن ، والعد والتجربة ، وما لا يحصل له لذة أو نفع محسوس فى الأخلاق ، وسرت هذه الروح فى علومهم

وفلسفتهم وأدبهم وشعرهم وقصصهم وتمثيلهم ٠

فلا يكون من الحكمة التعليمية ، ومن النصح للمسلمين نقل هذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها الى النشء المسلم بروحها وضميرها ، بل يجب أن تدون هذه العلوم من جديد تدوينا اسلاميا ، وتؤلف فيها كتب مبتكرة ، وتشبع بالروح الدينية ، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين ، بل تؤيده وتبعث اليقين والايمان ، وهكذا يجب أن تعمل مع التاريخ والجغرافية، والعلوم الطبيعية ، فلكل منها اتصال بالدين ، وكل منها مؤثر فى الدين ٠

والحاصل أننا فى البلاد الاسلامية فى حاجة ملحة الى نظام تعليمى اسلامى فى الروح والوضع ، والسبك والترتيب ، لا يخلو كتاب من الكتب التى تعلم مبادىء اللغة الى آخر كتاب يدرس فى العلوم الطبيعة ، أو الآداب الانجليزية من روح الدين والايمان ، هذا اذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الاسلامى ، ويكتب بقلم مسلم ، ويدير دفة البلاد بسيرة مسلم وخلقه ، ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم ، وتكون البلاد الاسلامية ٠ اسلامية حقا فى عقلها وتفكيرها ، وسياستها وماليتها وتعليمها ٠

اذا فوضع هذا المنهاج التعليمى من حاجات البلاد الاسلامية الأولى التى لا يسعها التغافل عنها ،والتساهل فيها ، وهو عمل شاق وواسع يأخذ وقتا طويلا ،وليس عمل فرد من الأفراد أو حفنة من الناس ، انما هو عمل

تقوم به جماعات ولجان ، ومجامع علمية بمســـــاعدة الحكومات الاسلامية وتشجيعها ، ويسند كل جزء من هذا الانتاج العلمى الى جماعة تتوفر فيها مؤهلاته .

فمثلا تقوم جماعة بتأليف سلسلة كتب تعــلم مبادىء اللغة ، وكتب تعلم اللغة والآداب ، ومهمتها أن تضع كتبا تجمع بين المادة اللغوية والمعلومات اللازمة ، ولا يخلو درس أو مجموع الكتب من روح الدين ،وهكذا فى تعليم اللغة والأدب الى أن يصل الطالب الى دراسة المصادر الأدبية وكتب الأولين ، فيكون تعليم اللغــة والأدب فى رحلته الأولى والوسطى مساعدا ومتسقا مع نظام التعليم فى تكوين العقلية الاســلامية والـذوق الاسلامى ، وتعليم اللغة والأدب ، له تأثير كبــير فى تكوين العقليات ، وتقويم الأخـــلاق ، كمـــا يعرفه العارفون .

وهكذا يجبأن تخصصلجان للتأليف فىالجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية ، فتضع كتبا تشتمل عـلى أحدث المعلومات مع الروح الدينية والنتائج الدينية ، فيخرج الطالب من كتب الجغرافية مؤمنا بأن هذه الأرض التى ولد عليها ، والكون الذى يعيش فيه منظم منسق، وأن خالقه حكيم خبير ، ويهتدى من المخلوقات الى الخالق ومن المعلومـــات الى التفكـــير ، ومعرفة الله وذكره ، والتسبيح بحمده ...

وكذلك التاريخ ، يعرف أن لله سننا لا تتغير ، وأياما فى خلقه ، وان لحياة الأمم ، تقدمها وتأخرها ،

وعثارها ونهوضها قانونا معقولا ، وان كل أمة حادت عن السبيل وثارت على القوانين الالهية التى ذكرها القرآن وعلى الأخلاق الفاضلة والنواميس العادلة عوقبت عقوبات فى الحياة الدنيا ، ومحيت من الوجود ٠

وكذلك العلوم الطبيعية ترتبها ترتيبا جديدا ، وتستنتج منها نتائج دينية مهمة جدا ، وتستخدمها لاثبات الدين ، وتعزيز العقيدة الاسلامية وخدمة المجتمع الاسلامى كما اتخذها الملحدون والمفسدون فى الأرض أداة الحاد وافساد ، وهذا ميسور للعلماء الذين يجمعون بين معرفة روح الاسلام ، والتعمق فى هذه العلوم ، والتوسع فى دراستها والابتكار ٠

المواد الدراسية الهامة

القرآن الكريم :

ولابد هنا من الارشادات الى بعض المواد الدراسية التى يقل الاعتناء بها فى نظامنا التعليمى ، وهى فى المكانة الأولى من الأهمية ٠ والتأثير فى النفوس :

أولها : القرآن الكريم هو أقوى شىء فى تكوين العقول والأخلاق والنفوس ، وهو الكتاب المعجز الذى أحدث انقلابا فى تاريخ البشر ، وهو الكتاب الخالد الذى لم تخلق جدته ولم تبل نضارته ، وهو الكتاب الدافق بالحياة والجدة ، الذى يستطيع أن يحدث انقلابا جديدا فى المجتمع والحياة ان وجد طريقا الى القلوب ، فليكن له القسط الأوفر والنصيب الأكبر فى دراستنا ، ولتكن هذه الدراسة مجردة بقدر الامكان ، فيدرس

متنه درسا لا يغلبه النقاش والبحث ولا يشرح تشريحا كتشريح الأجسام بحيث يحتجب جمـــاله ، وتتوارى قوته ، ولا ينبغي للمعلم أن يحول بين الطـــالب وبين القرآن ، ويقف بينهما كرجل يقف بين المرآة والمطالع فيها ، بل يدعه يتذوق القرآن تذوقا ، وتتلذذ به روحه وتمتلىء به نفسه ، ويشير الى مواضع العبرة والتفكير ، ويساعده مساعدة لغوية فقط .

السيرة النبوية :

والمادة الأخرى التي هي في الدرجة الثانيـــة من الأهمية والقوة ، هي السيرة النبوية ، على صاحبهـــا الصلاة والسلام ، وهي أجمل شيء في الوجود ، وهي التي تشق طريقها الى القلوب بغير شفيـــع ووسيط ، وتلتصق بالنفس ، فيحب الرجل هذه الحياة الفريدة ، ويحب صاحب هذه الحياة ــ بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ــ الذي كان أروع آيات الله تعالى في جمال الخلق والخلق ، معجزة كاملة تشتمل على المعجزات بقدر أيام حياته وأخلاقه وكلماته ، فيحب الاسلام لأجـله ، ولما رآه في شخصيته وسيرته من العـــدل والعقل ، والفضل والجمال ، فليكثر من درس السيرة بقدر الامكان ولا أعني من كتب السيرة هذه الفهارس العقيمة التي وضعت للطلبة ، وطلب منهم حفظها واستحضارها ، ولا تشتمل الا على السنين والأعداد ، وأسماء الغزوات والحوادث المهمة ، انما أعني كتب السيرة التي تمـــلأ القلب مهابة وجلالا ، ومحبة وايمانا ، فينبغي أن لايخلو

معظم الفصول من درس كتاب مؤثر فى السيرة ٠

تاريخ الصحابة :

والذى يلى السيرة النبوية فى التأثير والقـوة ، هو تاريخ الخلفـــاء الراشدين والصحابة رضـوان الله عليهم ، تاريخ ايمانهم ومحنتهم وحسن بلائهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحهم ، وزهدهم واستقامتهم ، وهو تاريخ يملأ القلب ايمانا وحماسة ، ويبعث على التقليد ، لأنهم كانوا من عامة البشر ، وكانوا نتيجة الايمان بالدين واتباع الرسول فقط ، وترفع مستوى الانسانية من المادة والأغراض الى التجرد من الأنانية ، والتفانى فى حب الرسول فقط ، والتضحية والايثار والوفاء ليس فوقها درجة ، فليكثر من تدريس كتب التاريخ ، وليكثر من دراسة الحوادث والحكايات ، فان للحوادث والحكايات تأثيرا ليس للمنطق والبرهان ، والمقالات العلمية ٠

التربية المعنوية :

هذا ما أردت أن أقوله فى منهاج التعليم والمواد الدراسية ، وهنا كلمة عن التربية : ان التربية لا تقل أهمية عن التعليم ، واذا خلا التعليم عن التربية أصبح بلا نتيجة فى أكثر الأحيان ، ونقصنا فى ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا فى ناحية التعليم ومنهاج دراسته ٠

وموضوع التربية موضوع واسع ، طويل الذيل، وكثير الشعب والنواحى ، وانما أشير هنا الى نقطـــة مهمة ٠

رسالة المسلمين وسيادتهم :

فيجب أن يفهم طلبتنا غايتهم ورسالتهم ، وليعرفوا أنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار ، وسخط الخالق ، ويخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، وأنهم ورثة الارض اذا صلحوا ، خلقت لأجلهم الدنيا ، وكتب لهم العلو والسيادة والناس لهم تبع ، وأنهم في الأصل مسلمون ، عاملون دعاة الى الله والى دار السلام ، وكل شيء في حياتهم فرع ووسيلة وآلة ، وليست غايتهم الوظائف (وان كانوا يشغلونها بأهلية، ويقومون بها بأمانة ونشاط) ولا المهن والحرف (وان كانوا يباشرونها بيقظة وكفاءة) ولا الراحة والدعة والمجد (وان كانوا يتمتعون به في حل وفي اعتدال) وانما غايتهم حسن العمل الى الله يستعملون لذلك جميع مواهبهم ويركزون فيه قواهم وجهودهم ، ويعملون لذلك على اختلاف أذواقهم وفنونهم ، ومهنهم وفرصهم .

ثم ليعرفوا كرامتهم وقيمة علمهم ، ولا يهينوا أنفسهم ، ولا يبيعوها بيع السلع وبيع المناداة (بالمزاد العلني) فيبيعوا أنفسهم لكل من يقومها ، ولكل من يزيد في الثمن ، كائنا من كان ، وليحاربوا مركب النقص في نفوسهم ، وليذكروا قول الشاعر العربي حاتم الطائي :

ونفســــك أكرمها فـــانك ان تهن
عليك فلن تلقى من النـــاس مكرما

وقول الطغرائى :

غالى بنفسى عرفـــانى بقيمتهـــا
فصنتها عن رخيص القـــدر مبتذل

فلا يضعوا أنفسهم الا أشرف موضع يقدرون عليه من غير تكبر ولا أنانية ، ولا يستعملون مواهبهم الا فى الوجه الذى يليق بها ، ويعتزوا بدينهم ولا يخجلوا من الظهور به والانتساب اليه والقيام بواجباته ولهم عبرة فى كثير من كبار رجال العصر الذين فاقوا الأوروبيـين فى ثقافتهم وأدبهم ودراستهم ، وجاهـــدوا بالدين ، وانتقدوا الحضارة الغربية فى شجاعة وصراحة ، وظهروا فى مظاهر الدين •

التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب :

ان النقطة المهمة الثانيـــة هى : التشبع بروح الدعوة والاختلاط بالشعب ، وقد ظهر أن أمة أو جماعة ليس فيها روح الدعوة ، والتقدم ، والهجوم ، لاتحافظ على وجودها ، وعلى مبدئها وعقيدتها ، وان موقف المدافع موقف الضعيف المعرض للخطر ، وكل من لا يكـــون داعيا يكون هدفا لدعوة أخرى ، وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للايمان بالمبدأ والثبات عليه ، ومتـــانة العقيدة والاستماتة فى سبيلها ، هى الدعوة اليها ، فالداعى دائما قوى الايمان بمبدئه متحمس فى عقيدته ، ونشيط فى عمله ، مستهين بغيره ، فاذا أردنا أن توجد

فى طلبتنا هذه الصفات ، وأن يخرجوا من الخطر على دينهم ، ونأمن عليهم الاندماج فى غيرهم ، والوقوف فى المعسكر المخالف فينبغى لنا أن نجعلهم دعاة ، فـــاذا أردنا أن نجعلهم متدينين ، فينبغى لنا أن نجعلهم دعاة الى الدين ٠

وقد جربنا ذلك فى الهند فنجحنا نجاحا باهرا ، فطلبة كليات الحكومة ، والكليات المختلفة ، والجـامعات المدنية ، لما خرجوا فى القرى والضواحى يدعون الى الله ويلقنون المسلمين مبادىء الاسلام ، ويوقظون فيهم روح الدين ، رأينا الحماسة الدينية فيهم تزداد اشتعالا كل يوم ، وروحهم تقوى ، وهم فى تقدم مستمر فى الديانة والصلاح ، حتى فاقوا فى حماستهم الدينية ونشاطهم وايمانهم بالدين ، بل فى الجرأة الدينية على أبناءالمدارس الدينية، التى لايختلط طلبتها بغير المسلمين، ولا يقرأون العلوم العصرية ، والسر فى ذلك هو الدعوة التى تجعل من الرجل غير الرجل ومن القلب غير القلب ٠

وبهذه الدعوة والرحلات والمخيمات فى سبيلها ، والاختلاط بالشعب على اختلاف طبقاته نتمكن من محاربة داء شديد ، حل جديدا بدور التعليم ورجالها ، وهـو العزلة عن العالم ، الذى يعيشون فيه ، والانقطاع عن الأمة التى هم من أفرادها ، فقد أصبحت المدارس فى حياتنا جزرا صغيرة منفصلة عن الخارج ، والناس الذين يتخرجون منها يكونون جزرا صغيرة أخرى ، فكل فرد منهم جزيرة مستقلة يعيش فى عالم الخيال ، ويسبح فى

فلكه الخاص ، وله دائرة من الاصـــدقاء والاخوان لا يتجاوزها ، ولا يعرف من آلام الأمة وآمالها شيئا ، حتى أصبح العالم في واد وهو في واد ، أصبحت الفجـوة والجفوة تتسعان على مر الأيام حتى أصبح المتعلمون أمة مستقلة لها لغتها وثقافتها ، ونفسيتها لا يفهمها الشعب ولا يعرفها ، وأخاف أن يحتاجوا بعد أيام الى ترجمان، على وحدة اللغة والجنسية ، والوطنية والمدنية •

وأصبح الناس ينظرون اليهم كأجانب ، وحـق لهم أن ينظروا ، وأصبحوا ينظرون الى الناس كأميين ، ومنحطين في العقل ، والثقافة والحضارة •

وهكذا تتسع الهوة بين الطبقة المثقفة ودهمـاء الناس ، وليس ذلك من مصلحة أحد منهم ، ولا تنهض أمة ، ولا تعيش عـلى مثل هـذه الحـال من الفرقة والانفصال ، وبكثرة اختلاط الطلبة بالشعب في طريق الدعوة الدينية ، والتعليمية والاصـلاحية ، وبكثرة ترددهم الى القرى والضواحي ، والمدن ، عصـابات وجماعات ، بشكل منظم وتحت اشراف الأساتذة ، تنشأ في الطلبة روح الدين ، والجهاد والـكفاح في سبيل الحياة ، ويتعودون على الشدة والغلظة في العيش ، وتنشأ فيهم كذلك روح الأخوة الصادقة ، والمحبـة المخلصة ، وروح الخدمة والايثـار ، ويعرف بعضهم بعضا ، ويخدم بعضهم بعضا ، ويعرفون الحياة العـامة وحياة القرى والبادية ، ويعرف الطلبة الحقـل الذي سيعملون فيه ، ويعرف أهل البلاد دعاتهم ومرشديهم •

ومعلميهم الذين سيساعدونهم ويأخذون بأيديهم ، الى غير ذلك من الفوائد التى لا تعرف الا بالاختبار والتجربة ٠

التربية البدنية :

وكلمة موجزة عن التربية البدنية ، والرياضة التي أهملها التعليم والتربية فى بلادنا ، حتى نشأ شباب رقيق ناعم ، لا صبر عنده ولا جلد ، ولا تماسك ولا ثبات ، ولا غلظة ولا قوة ، وقد انحطت الشعوب الاسلامية فى العهد الأخير فى فروسيتها وأجسامها انحطاطا مفزعا يهدد بخطر عظيم ٠

وقد قلدنا الغربيين ، أو حاولنا أن نقلدهم فى كل شيء ، الا فى الإهتمام بالجسم ، والرياضة البدنية ، وتربية الفروسية ، والبطولة ، هؤلاء الانجليز والامريكان عندهم آهتمام زائد بالرياضة البدنية ، والجرى والسباق ، وركوب الخيل ، والسباحة ، والمصارعة ، والملاكمة ٠

أما نحن فلم نأخذ منهم الا كرة القدم والألعاب ، فعلى وزارة التعليم والتربية فى البلاد الاسلامية ، أن تعير الرياضة البدنية ، وتربية الأجسام والفروسية قسطا لائقا من عنايتها واهتمامها ، وتقيد المدارس والكليات بالاعتناء بهذا الشأن ، حتى ينشأ جيل متوفر العلم ، سليم العقل ، قوى الجسم قوى الايمان ، وهو الذى يستطيع وحده أن يؤدى رسالة الاسلام والعلم والفضيلة ، ويشق طريقه فى الاشواك والاخطار ،

فالحياة ليست روضة من الرياض ولا نوعا من العبث ، انما هى جد وكفاح لا يثبت فيه الا الشديد القوى ٠

قضية المعلمين :

ولـكن كل ما قلناه فى التعليم والتربية ، يتوقف على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادىء والعقـائد ، والغايات . ويخلصون لها كل الاخلاص ، ويدعـون اليها بايمان وحكمة ، وتكون حياتهم خير مثال لمـا يدعون اليه ٠

ووجود معلم يعارض هذا النظام بفكره وعمله ، أو غير مؤمن به ، غير مخلص له ، كوجود لوحة نخـرة فى سفينة فى عرض البحر ، ومعول هدام فى بنـاء شامخ ، ولا ينجح نظام تعليمى ، ولا يؤتى أكله مهما كان كاملا محكما اذا كان المعلمون مذبذبين ، متناقضى الفكرة ، لا تتفق حياتهم مع رسالة الدين والعلم ٠

اذا فقضية اختيار المعلمين ليست بسيطة سهلة ، كما يظن كثير من رجال المعارف ، ليس أساسه العـلم وحده ، والمقدرة التعليمية ، والمؤهلات العلمية فحسب، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق ، والمبدأ والغـاية ، والايمان والعقيدة ، المكانة الأولى والأهمية الكبرى فى اختيار المعلم ٠

ويجب أن تكون هذه العقيـدة متغلغـلة فى الأحشاء قد ملكت عليه فكره ومشاعره ، وجعلت منه داعية لا يمل ، ولا يكل ، ومؤمنا لا يرتاب ولا يتشكك وذلك مثل المعلم الكامل الذى يسعد به نظام التعـليم

ويؤدى مهمته بنجاح وسهولة .

أما بعد فانى لا أعرف أمانة أكبر مسؤولية ، وأشد خطرا ، وأعمق أثرا فى مستقبل الأمة وحياتها ، من التربية والتعليم ، فزلة من زلاتها ، قد تردى أمة بأسرها فى هاوية ، وقد تؤدى بها الى الاضمحلال والتفسخ ، والفوضى فى الأخلاق ، والاجتماع ، والسياسة والتعليم ، واللادينية والالحاد ، كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيها صالحا ، وتنشىء الامة نشأة جديدة ، وتبنى لها مستقبلا باهرا ، وليس من الشرف والرجولة الفرار من هذه المسؤولية المشرفة ، بل الشرف والرجولة ، وعلو الهمة الاضطلاع بهذا العبء الذى ألقته الامة على كاهلها ، وأن تساهم فى نهضة الامة بالقسط الاكبر ، بل تضع أساسها الذى سيقوم عليه بناء المجتمع .

* * *

صوغ نظام التربية والتعليم من جديد

* * *

نتائج تطبيق النظام التعليمى الغربى فى الشرق الاسلامى :

لا يخفى على المطلع الخبير أن نظام التعليم روح وضمير كالكائن الحى له روح وضمير .. إن روح نظام التعليم وضميره انما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغايتهم من العلم

ودراسة الكون ، ووجهة النظر الى الحياة ، ومظهـــر لأخلاقهم ، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحا وضميرا بذاتها ، ان هذه الروح هى التى تسرى فى هيكله تماما ، انها تسرى في جميع العلـــوم ، فى الأدب والفلسفة ، والتاريخ والفنـــون ، والعـــلوم العمرانية ، حتى في علمى الاقتصاد والسياسة بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح ، وليس فى وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها ، وانمـــا يتيسر ذلك لرجل أوتى من قوة الاجتهاد ، وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز الجزء النافع من الجـــزء الضار ، فيكون عاملا بمبدأ « خذ ما صفا ودع ما كدر » ويفرق بين الأصل والزائد حتى يتمكن من أخذ جوهرها وروحها .

وهذا العمل سهل فى العلوم الطبيعية التطبيقية ، بينما هو صعب ودقيـــق فى نفس الوقت فى الادب والفلسفة ، والعلوم العمرانية ، ولا سيما اذا كانت أمة تؤمن بعقائد معينة ، وتتبنى فلسفة مستقلة ، وأسلوبا خاصا للحياة ، وتاريخا مستقلا لا يعد من ألفـــاظ الماضي وانما هو منارة نور للأجيال القادمة ـ وتعتـــبر شخصية الرسول وعهده الأسوة الحسنة التى تفـــوق جميع القيم والمثل العليا للحياة الانسانية ، اذا كانت أمة هذه صفتها تتبنى نظام تعليـــم لأمة تختلف فى الأساس والقيمة والمعيار ، يحدث هنالك صراع مستمر لا يفارق هذه الأمة فى أي مرحلة من مراحل حياتها يجز

الى بناء واحد وهدم آخر ، الى تصديق واحد وتكذيب آخر ، الى اجلال واحد وازدراء آخر ، وفى مثل هذه الحال يجب أن يحدث هنالك نزاع عقلى ، وتزعزع فى العقيدة ، وانحراف عن الدين ، وأخيرا قبول القيم والأفكار الحديثة مكان القيم والأفكار السالفة ، وذلك أمر طبيعى يجب أن يحدث كأمور طبيعية ، لا يحول دون حدوثه حسن النية ، أو القلق ، ورغبة الآباء والأولياء ، والاحتياطات الفرعية والخارجية ، وانما يمكن تأجيل موعده ، أو ابطاء سيره على أكثر تقدير ، دون تعويقه أو القضاء عليه ، كما أن الشجرة اذا نشأت وتربت وفق نظامها الطبيعى تؤتى أكلها وتثمر فى موعدها ، أما الانسان فبامكانه أن لا يغرس شجرة ، ولا يسهر عليها بالتعاهد والسقى ، أو يعضدها اذا اكتملت وشبت ، ولكن ليس بامكانه أن يقوم فى وجه شجرة مثمرة خضراء ، أو يفرض عليها أن تثمر ثمر شجر آخر .

تلك هى قصة نظام التعليم الغربى ، فانه يحمل روحا مستقلة ، وضميرا منفردا تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه ، وعقلية واضعيه ، وهو نتيجة التقدم الطبعى فى آلاف من السنين ، وتعبير عن أفكار أهل الغرب ومجموع أقدارهم وقيمهم ، فاذا طبق هذا النظام التعليمى فى بلاد مسلمة ، أو مجتمع اسلامى ، يحدث به قبل كل شىء صراع عقلى ، ثم يتدرج ذلك الى تزعزع العقيدة ، والردة الفكرية ، وأخيرا الى الردة الدينية ،

وذلك طبيعي لكل من يستهدف لذلك (الا من عصم ربك) وما أحسن ما كتبه أحد علماء الغرب الناقدين[1] الذي له خبرة واسعة بنتائج نظام التعليم الغربي في الشرق : « لقد بسطنا في الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيدة للرأي القائل بأن الاسلام والمدنية الغربية ـ وهما يقومان على فكرتين في الحياة متناقضتين تماما ـ لا يمكن أن يتفقا ، فاذا كان ذلك كذلك ،فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ، تلك النشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوروبية وعلى مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادي للاسلام .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، واننا اذا استثنينا بعض الأحوال النادرة ، التي يتاح فيها لعقل نير للغاية أن يتغلب على مادة التعليم ، فان التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ، ستفضي حتما الى زعزعة ارادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم هم ممثلوا الحضارة الالهية الخاصة التي جاء بها الاسلام ، وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين « المتنورين » الذين نشأوا على أسس غربية ! » .

ثم يقول وهو يتحدث عن أجزاء برامج التعليم الغربية المختلفة ، فيتحدث عن تدريس الآداب الغربية ، وتأثيرها في عقلية النشء الإسلامي :

(١) هو محمد أسد Leopold Weiss سابقا .

« ان تعليم الأدب الأوروبى على الشـــكل الذى يسود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا فى عيون الناشئة المسلمة ، ومثل هذا ـ ولكن الى حد أبعد ـ يصدق على التعليل الاوروبى للتاريخ العام ، اذ لايزال الموقف القديم فيه (رومانيون وبرابرة) يظهر بجلاء ، ثم ان لمثل هذا العــــرض فى التاريخ هــدفا خفيا ، ذلك أنه يدلل على أن الشـــعوب الغربية ومدنيتهـا أرقى من كل شىء جاء أو يمكن أن يجىء الى هذا العالم ، وهكذا يمكن خلق نوع من التبرير الأدبى لسعى الاوروبيين الى السيطرة والى القـــوة المادية » .

ويتكلم عن تأثير مادة التاريخ على النمط الغربى ، فيقول :

« أما التأثير الوحيد الذى يمكن أن يتركه مثــل هذا التثقيف التاريخى فى عقول الأحداث من غــــير الشعوب الاوروبية ، فانما هو شعور هـــذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصــــة ، وبماضيهم التاريخى الخاص ، وبالفرص السانحة لهم فى المستقبل وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقـــار ماضيـــهم ومستقبلهم ، اللهم الا اذا كان مستقبلا مستسلما للمثل العليا الغربية » .

وأخيرا يقول بكل حماس وصراحة :

« واذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمى ، فانهم لا يستطيعون أن ينتظروا اصلاح هــذا

الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربى من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمى ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذى سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربى فى قوى الاسلام الدينية الكامنة ، اذ أردنا أن نحفظ حقيقة الاسلام على أنها عنصر ثقافى فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكرى للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ، وبتقليد عادات الغرب وزيه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجا مضطرين الى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئا الى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك » ا ه

وقد تكهن بهذه النتيجة بعض مفكرى الغرب الذين كانوا مسؤولين عن تطبيق هذا النظام التعليمى فى بلدان الشرق ، وقد كتب الكاتب الانجليزى المعروف اللورد ميكالى Lord Macaulay فى تقريره، وقد كان رئيس اللجنة التعليمية (عام ١٨٣٥ م) التى قررت جعل اللغة الانجليزية أداة التعليم لأهل الهند بدلا من اللغات الشرقية الأخرى ، انه يقول :

« يجب أن ننشىء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين ملايين من رعيتنا ، وستكون هذه الجماعة هندية فى اللون والدم ، انجليزية فى الذوق والرأى ، واللغة والتفكير »(١) .

ويقرر المستشرق الكبير « جب » Gibb فى

(١) تاريخ التعليم لمؤلفه ميجر باسو ص ٨٠ .

كتابه « وجهة الاسلام » Wither Islam أن التجدد
التفرنج فى الشرق انما هما خاضعان لمقياس نظام
لتعليم الغربى ومدى سيطرته وتغلغله فى المجتمع
لاسلامى الشرقى ، يقول :

« والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التغريب
أو الفرنجة » هو أن نتبين الى أى حد يجرى التعليم على
لأسلوب الغربى ، وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير
لغربى ، والأساس الأول فى كل ذلك هو أن يجرى
لتعليم على الأسلوب الغربى، وعلى المبادىء الغربية ،وعلى
لتفكير الغربى ·· هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل
يره ، وقد رأينا المراحل التى مر بها طبع التعليم
بالطابع الغربى فى العالم الاسلامى ، ومدى تأثيره على
نفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين »(١) ·

يلاحظ جب أن النشاط التعليمى والثقافى (عن
طريق المدارس العصرية والصحافة) قد ترك فى المسلمين
ـ من غير وعى منهم ـ أثرا جعلهم يبدون فى مظهرهم
العام لا دينيين الى حد بعيد ، ثم يعقب على ذلك بقوله :
« وذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات
الغرب لحمل العالم الاسلامى على حضارته من آثار »(٢) ·

(١) الجزء الثانى من الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر
ص ٢٠٢ ·

(٢) الجزء الثانى من الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر
ص ٢٠٤ ·

مؤامرة دقيقة لابادة العنصر الاسلامى :

لقد كان نظام التعليم الغربى محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاسلامى والقضاء عليه ، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التى كانوا يؤثرونها فى ابادة الأجيال ، والفتك بها الى هذه الطريقة الجديدة التى قرروا صوغها فى قالبهم ، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات ، وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الاسلامى « أكبر » الاله آبادى فى أسلوبه الطريف الخاص ، انه يقول فى بيته السائر :

« يا لبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره الى تأسيس « الكليات » ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة فى التاريخ » .

كما أوضح الفرق بين ساسة الشرق والغرب فى بيت آخر يقول :

« ان أهل الشرق يقضون على العدو بشدخ رأسه، ولكن الغربى يغير طبيعته وقلبه » ، وجاء اقبال بعده بعدة سنوات ، وقد اكتوى بنار نظام التعليم الغربى شخصيا وخاض فى دراسته ، فأبدى حقيقته فى أسلوب أكثر عمقا وأبعد عن التنكيت والدعابة ، يقول :

« اياك وأن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها »(١) انه يعبر

(١) أرمغان حجاز .

عن ذلك الانقلاب الهائل والتحويل الجذرى الذى يحدثه نظام التربية الحديث بقوله :

« ان التعليم هو « الحامض » الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كما يشاء ، ان هذا « الحامض » هو أشد قوة وتأثيرا من أى مادة كيمائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شامخا الى كومة تراب[1] .

انه يرى نظام التعليم الغربى مؤامرة على الدين والخلق كما يقول :

« ان نظام التعليم الغربى ، انما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة[2] » .

ان اقبال من أولئك الرجـــال المعدودين الذين خاضوا بحر نظام التعليم الغربى ، فلم يخرجوا من قعره سالمين فقط ، بل وقد جاءوا معهم بدرر كثيرة ، وازدادوا ايمانا بخلود الاسلام ومضموراته الواســعة وازدادوا ثقة بنفسهم ، ولو كان من الصعب أن نحكم على اقبال أنه لم يخضع للتعليم الغربى ، والفلسفة الغربية فى قليل أو كثير ، وأن فهمه للدين يطابق الكتاب والسنة ، وفهم السلف تماما ، ولكن الذى لا مرية فيه أنه لم ينصهر فى بوتقة الغرب كما انصهر آلاف من معاصريه، وحق له أن ينشد فى هذه المناسبة شعره الذى معناه :

« كسرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت مكره ، التقطت الحبة وأفلت من شبكة الصياد ، يشهد الله أنى

(١) ضرب كليم .

(٢) ضرب كليم ص ٨٥ .

كنت فى ذلك مقلدا لابراهيم ، فقد خضت فى هذه النار واثقا بنفسى ، وخرجت منهما سليما محتفظا بشخصيتى »[1] .

أما شهادة الزعيم الاسلامى الهندى مولانا محمد على عن التعليم الحديث وأثره ، فتحمل قيمة لا تنكر ، وقد تربى فى بيئة مؤمنة دينية ، ثم بدأ دراسته فى أكبر مراكز التعليم الغربى « الجامعة الاسلامية فى عليكره » فى الهند ، أنه يقول فى ترجمة حياته :

« لقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الدينى الكامل ، فقد أقصت دراسة مادة الدين حتى دراسة الأخلاق تماما من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عمليا فى ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية الا ما يتلقفه الطلاب بأنفسهم من الكتب الانجليزية أو الكتب الدراسية ، المؤلفة بلغات الشرق .

كما ان نظرية التعليم التى وضعتها الحكومة للشباب الهندى ، كانت « حديثة » وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة الى أن يتربى فى الطالب شعور خاطىء بعلمه وكبريائه، يقضى على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التى يرجع تاريخها الى ما قبل قرون ، ومما لا شك فيه أن هذا التعليم سبب اثارة دافع التحقيق والبحث عن الحقيقة مع مسايرته للزمان، غير أنه كان هداما فى حملته على الديانة والأخلاق ،

(١) أرمغان حجاز ص ٧٠ .

أما ما أعطاه بدلا مما قضى عليه من « الأوهام الدينية » (كما يقول الغربيون) فلا يقوم أيضا الا على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ، ولكن هذه الثقافة التى يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك(١) » .

مصدر حركة التحرر والاباحية : ان مؤلف « الاسلام فى التاريخ الحديث » W : C : Smith الذى يحمل معلومات جديدة حول نزعات العالم الاسلامى وطبقاته المختلفة ، يعترف بالتأثير العقلى العميق الذى يتركه التعليم الغربى الحديث ومراكزه فى العالم الاسلامى ، انه يقول وهو يتحدث عن حركة التنور والتسامح فى العالم الاسلامى Liberalism :

« ان من أهم أسباب حركة الحرية والاباحية التى تسود اليوم فى العالم الاسلامى ، ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب ، فقد بلغت هذه الحركة أوجها فى أوربا من أواخر القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ، وهكذا شأن نهضة أوربا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم الى الغرب ، واطلعوا على روح أوربا وقيمها وأعجبوا بها الى حد ، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا فى جامعات أوربا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام ، وهم الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه الى العالم الاسلامى ، وقد حازت قصب السبق فى هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التى قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربى الحديث ،

(١) My Life, Fragment, p. 23 - 24

وكان مما صدره الغرب الى العالم الاسلامى تلك الأفكار المتعددة الجديدة التى تقع من الأهمية والدقة بمكان ، والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجة ، الميول الحديثة التى كان فى نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربى الحديث ، ويفوقها فى ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية ، والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ، ومنها ما يسلط اجبارا ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر ، ان بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسميا ، وبعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، وأنتج ذلك أن كثيرا من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة ، وخضعوا لها بالتدريج ، وهكذا استمر عمل التغريب بسرعة وقوة بالغتين(١) » .

لقد جرف تيار نظام التعليم الغربى الشباب الاسلامى فى البلاد العربية والعجمية (الذين كانوا زبدة أمتهم وزهرة بلادهم) وغير عقليتهم الى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيغ الاسلام الصحيح، وأصبحوا لا يندمجون فى المجتمع الاسلامى أيضا ويصبحون جزءا منه ، ويشير الى ذلك « اقبال » بقوله :

« ان سحر الافرنج أو فنه أذاب الصخور وأسالها ماءا » .

---

(١) المصدر المذكور ص ٦٤ .

ظلال التفكير الغربى فى الجيل المثقف الحديث

ان الالحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة والحكم ، والمعاملة مع الاسلام كمعاملة الكنائس المسيحية ونظرية فصل الدين عن الدولة ، والاعتقاد بأن الدين عائق فى سبيل النهضة والاكتشافات والتحقيق ، واقامة علماء الاسلام فى صف ممثلى الكنيسة المسيحية الذين كانوا يملكون السلطة المطلقة فى العصور المتوسطة ، واعطاء المرأة حق الاسهام فى جميع أمور الحياة فى كفاحها ، والخروج مع الرجل متكاتفة متساوية ، وجعل الحجاب ـ فى أى شكل كان ـ تذكارا لنظام الحرم القديم فى الشرق وعلامة استبداد الرجل بالمرأة ، والقضاء عليه خطوة أولى نحو الاصلاح والتقدم ، والاعتقاد بأن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين فى العصور المتوسطة ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائى المحدود الذى وجد فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وادخال التغيير والاصلاحات فى ذلك المجتمع وصوغه فى قالب المجتمع الغربى بتطبيق المبادىء الغربية ومعاييرها عليه ، فريضة الساعة وواجب الوقت ، وصرف النظر عن الربا والخمر والميسر ، وعن العلاقات الجنسية المنطلقة ، والاندفاع نحو احياء الحضارات القديمة واللغات العتيقة ،والايمان بأهمية الخط اللاتينى وفوائده ، كل هذه النزعات والاتجاهات وما أشبهها التى تحتل محل الحقائق الثابتة لدى الجيل المثقف ، وتعد من أمارات

التنور والنهضة والتقدم ، كل ذلك نتيجة نظام التعليم الغربى وبيئته الفكرية ، وجوه العلمى والعقلى ، وتراثه التاريخى ليس غيره •

ان بعض القادةوولاة الحكم فىالبلاد المسلمة ،كانوا نتاج نظام التعليم الغربى ووليد حضـارته ، أما الذين لم يتح لهم أن يثقفوا فى بلد أوربى وينشأوا فى بيئته ، فانهم تعلموا فى مراكز هذا التعليم في بلادهم ، وتثقفوا بها تحت اشراف ممثليه الكبار ورقابتهم •

وذلك هو السر فى أن العالم الاسلامى اليـوم يتأرجح بين عقليتين ، وفلسفتين ، ووجهتين مختلفتين ، تتصارعان دائما ، وهذا الصراع ينتهى فى أغلب الأحوال بانتصار فئة هى أكثر قوة وأكثر تسلحا ، انه صراع طبيعى، وهو ان استحق الأسف فلا يستحق الاستغراب أبدا ، بل كان موضع الدهشـة والاستغراب اذا لم ينشأ هذا الصراع ، ولم توجد هذه النزعة الى التجـدد و « التغريب » •

الحاجة الى موضوع جديد : وحل هذه المشكلة ــ مهما تعقد وطال واحتاج الى الصبر والمثابرة ــ ليس الا أن يصاغ هذا النظام التعليمى صوغا جديدا ، ويلائم بعقائد الأمة المسلمة ومقوماتحياتها وأهدافها وحاجاتها، ويخرج من جميع مواده روح المـادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقيـة والروحية ، وتعبد الجسم والمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والانابة الى الله ،وتقدير الآخرة ، والعطف على الانسانية كلها ، فمن اللغـة

والآداب الى الفلسفة وعلم النفس، ومن العلوم العمرانية الى علوم الاقتصاد والسياسة لا تسيطر على كل ذلك الا روح واحدة ، يقصى استيلاء الغرب العقـــلى ويكفر بامامته وسيادته ، وتجعل علومـه ونظرياته موضـوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضح ماذا جنى نفـوذ الغرب وسيطرته على الانسانية والمدنية ، وتدرس علومه بشجاعة وحرية ، وتعتبر كمواد خامة Raw Material نصـــنع منه ما يوافق حـــاجاتنا ورغباتنا ، وعقيدتنا وثقافتنا •

ان هذا العمل ولو كانت فى طريقه عقبات وعراقيل ولو تأخرت نتائجه ، ولكنه حل وحيد للموجة الطاغية التى قد اكتسحت العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه، موجة التجدد والتغرب التى تتحـدى الكيان الفـكرى للاسلام وجهازه الاجتماعى ، وظلت تهدد حياته وبقائه، ونتيجـــة لذلك ، أصبحت عاطفة الشـعوب المسـلمة وتضحياتها وجهـــودها واخلاصها ووفائها (التى هى السبب المباشر الأساسى فى انشاء الحكومات الاسلامية، وتحرير البلاد المستعمرة) وقـودا حقيرا فى نار التجدد والتغرب ، وتساق الى أى هدف فى صمت وهدوء •

لقد كان السر فى نجاح الحكم الانجليزى فى الهند، واستمرار طبقة الضباط ، والموظفين الكبار والحـكام الذين ربوا تربية غربية خالصة ، ونشأوا على الطاعـة والنظام آنهم وضعوا نظام هذه البلاد ، ومارسوه مائة سنة حسب رغبة ولاتهم الأجانب ، وفكرتهم وثقافتهم ،

فالطريق الى تغيير اتجاه البلاد الاسلامية والعودة بها الى الحياة الاسلامية أن يهتم بتعليم هذه الطبقة الاسلام، وتربيتها على أسس الاسلام ، فانها الطبقة التى تتحكم فى البلاد ، وأن نصلح نظام التعليم الذى يخرج هؤلاء الأشخاص .

هذا التغيير الجذرى لنظام التعليم وتكوينه الاسلامى أمر لا غنى عنه ، ولكنه يحتاج الى وقت طويل ، ويحتاج الى مواهب ومؤهلات عظيمة ، ووسائل كثيرة .

مأساة العالم الاسلامى الكبرى : ومن المآسى التى تحير العقل وتجرح القلب أن تظل الأقطار الاسلامية وحدها فى فوضى تعليمية ، وغموض والتباس ، بل فى تناقض ومصارعة بين العقائد والحقائق التى تؤمن بها ، والغايات والأهداف التى خلقت لأجلها ، والرسالة والدعوة التى تحتضنها ، وبين نظام التعليم الذى تطبقه والنظريات التى تستوردها، والأساتذة الذين لا يؤمنون بها ، وعلى الأقل لا ينشطونها فى تدعيمها وتنميتها ، ولا تفكر فى التطبيق بين العقيدة التى تتمسك بها ، وبين التعليم الذى تنفق عليه أكبر جزء من امكانياتها ووسائلها مع أنها كانت بحملها الرسالة الأخيرة ، والأمل الأخير للانسانية ، أجدر بهذا التطبيق وأحرص على ازالة جميع العناصر التى تجنى على شخصيتها ، ومقومات حياتها ، ومستقبل أجيالها ، وأغير على عقيدتها ودينها من الشعوب الغربية بما فيها من الشيوعية

والرأسمالية ، والتى تتناولها دائما بالتغيير والتحوير ، وتعيش هذه الأقطار الاسلامية متطفلة على مائدة الأمم الأجنبية والنظم الداخلية ، تقتبس منها وقد تطبقهـــا بحذافيرها ، ولم تفكر الى الآن فى اخضاع جهاز التعليم لرسالتها السماوية وعقائدها الثابتة، وعلومها المعصومة عن الخطأ والضلال ، وازالة جميع العقبات فى سبيـــل هذا الوئام ، والتعاون بين العلم والدين ، وتصارعـــه القوى المضادة والموجهون المتنافرون ويسيطر عليهـــا الفصام النكد بين العـــلم والدين ، والصراع المستميت بين الحقائق الغيبية والمحسوسات المادية ، وبين الايمان والشك ، وبين الاسلام والنفاق ، وبين الخلق والثبات ، والاستغلال والانتهازية ٠

نداء الوقت وحاجة العالم المعاصر : وقـــد شـــعر بضرورة ذلك بعض علماء الغرب المنصفين ، فقال أحـــد كبار أساتذة الاسلاميات فى أمريكا Charles L. Gedder فى كلمته التى ألقاها فى ١٣ مايـــو عام ١٩٦٦ م فى كراتشى : « ان الاسلاميملك جميع الخصـــائص التى تستطيع أن تنشر السـلام والانسجام فى العالم ، ان الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذى أنزله الله ، وكان لهم ماض مجيـــد مشرق أن يقدموا مبادىء الحياة وفلسفتها الى الغرب ، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التى عينت لهم فى عالم الغد »٠

وذلك لا يكون الا بانشـــاء الجيل المؤمن المثقف ، الذى يجمع بين العقيدة والعلم ، ويؤمن بخلود رسالته

وصلاحيتها لكل عصر ومصر ، وانها هى المنقذة للعالم من النهاية الأليمة التى ترتقبه ، ومن المستنقع الذى يتردى فيه ·

وذلك لا يمكن كما لا يخفى الا بوجود نظام للتربية والتعليم ، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة ، وبين قوة العاطفة واشراق الروح ، والتهاب جذوة الايمان ، وبين العلم الواسع والفكر النير ، ومعرفة أحدث ما وصلت اليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف ·

ولا بد من بدء عملية تطوير المناهج لهذا الغرض، وسبك منهج تعليمى جديد ، يتغلغل فى أحشائه الايمان بالله ، ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته ، فى الأوساط العلمية فى الشرق(١) ·

انه مشروع ضخم ، يتطلب ثورة فى التفكير ، ومغامرة فى المساعى والجهود ومثابرة تنهك القوى وتستنفذ المجهود ، ولكنه عمل تجديدى من أعمال الاصلاح والتربية ، وأكبر خدمة للاسلام والمسلمين فى هذا العصر ، والذى يقوم به يستحق شكر الأجيال القادمة ، وأردد قول بديع الزمان الهمذانى ، وأقول : « انه فتح تتضاءل أمامه الفتوح ، وتثنى عليه الملائكة والروح » والعالم الاسلامى يتطلع الى العملاق الذى

(١) أضرب مثلا بما يقوم به صديقنا الفاضل الدكتور رفيع الدين (رئيس مجمع اقبال فى كراتشى سابقا) فى لاهور ، وقد أنشأ لذلك مؤسسة المؤتمر التعليمى الاسلامى ، لباكستان ،
(All Pakistan Islamic Education Congress)

يقوم بهذا العمل الذى يؤثر فى مصير هذه الأمة بما لا يؤثر غيره ٠

نظرة محمد اقبال
الى نظام التعليم العصرى ومراكزه

نقده لنظام التعليم : نظر الدكتور محمد اقبال الى نظام التعليم الحديث ، فرأى فيه مواضع ضعف كثيرة ، وجوانب نقص عظيمـــة ، فتناولها بالانتقاد فى صراحة وشجاعة ، ولفت اليها أنظار الرجال القائمين عليها ، وذكر من جنايات المدرسة ـ ويقصد بها نظام التعليم الحديث ـ على هذا الجيل شيئا كثيرا تفيض به دواوين شعره ، يقول فى بيت : « لقد خرجت من المدرســـة و « الزاوية » حزينا ، لم أجد فيهما الحياة ، ولا الحب ، ولا الحكمة ولا البصيرة » ، ويقول فى بيت آخر : « أما رجال المدرســة ففاقــدوا البصر ، وميتوا الذوق ، وأما شيوخ الزاوية فقاصروا الهمة ، ضعيفوا الطلب ، قليلوا البضاعة » ٠

جنايات المدرســة : ومن رأى محمــد اقبال ، ان التعليم الحديث قد جنى على هذا الجيل جناية عظيمة اذ اعتنت بتربية عقله ، وتثقيف لسانه ، ولم تعتن شيئا بتغذية قلبه ، واشــعال عــاطفته ، وتقــويم أخــلاقه ، وتهذيب نفسه ، فنشأ جيل غير متوازن القوى ، غـــير متنــاسب النشــــأة ، قــد تضخم وكبر بعض نــواحى انسانيته وحياته على حساب بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وعقله وقلبه ، وعلمــه وعقيدته ،

مسافة شاسعة ، بل أصبح التفاوت بين عقله وجسمه كبيرا ، فالأول ضخم كبير ، والثانى ضعيف ناعم ، وهو اذا وصف هذا الجيل ، الذى عاش فيه ، وعرفه عن كثب واتصال ، صوره تصويرا صادقا ، ينطبق تمام الانطباق على أبناء المدارس والشباب الجديد ، يقول :

« ان الشباب المثقف فارغ الأكواب ، ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه ، مظلم الروح ، مستنير العقل، كليل البصر ، ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، لم يشاهد فى هذا العالم شيئا ، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال ، ينكرون نفوسهم ويؤمنون بغيرهم ، يبنى الأجانب من ترابهم الاسلامى كنائس وأديارا ، شباب ناعم ، رخو رقيق فى الشباب كالحرير يموت الأمل فى مهده فى صدورهم ، ولا يستطيعون أن يفكروا فى الحرية ، ان المدرسة قد نزعت منهم العاطفة الدينية ، وأصبحوا خبر كان ، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم من شخصياتهم ، شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم الى الأجانب ليتصدقوا عليهم بخبز شعير ، ويبيعون أرواحهم فى ذلك ، ان المعلم لا يعرف قيمتهم ، فلم يخبرهم بشرفهم ، ولم يعرفهم بشخصيتهم ،مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت ، ولا يؤمنون بأنه لا غالب الا الله ، يشترون من الافرنج ، اللات ومناة ، مسلمون لكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، ان الافرنج قد قتلوه من غير حرب وضرب ، عقول وقحة ، وقلوب قاسية ، وعيون لا تعف عن المحارم ، وقلوب لا تذوب بالقوارع »

كل ما عندهم من علم وفن ، ودين وسياسة ، وعقل وقلب ، يطوف حول الماديات ، قلوبهم لا تتلقى الخواطر المتجددة ، وأفكارهم لا تساوى شيئا ، حياتهم جامدة ، واقفة ، متعطلة » •

ويذكر محمد اقبال أن السبب فى جبن هذا الجيل وضعفه الخلقى ، وهو الوضع التعليمى الحاضر ، واهماله للجانب الخلقى ونشأة الشباب المتحللة ، يقول فى قصيدة : « لا أستغرب أيها الشباب المتعلم ! انك حيى جبان ، فان قلبك بارد لا لوعة فيه ولا حرارة ، ونظرك غير عفيف ، ان الشباب المثقف الذى استنارت عينه بنور الافرنج قد يكون لبقا فى الحديث متشدقا فى الكلام ، ولكن عينيه لا تعرف الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع» • ويرى محمد اقبال أن المدرسة هى المسؤولة عن هذا المسخ الخلقى ، وهى التى نزلت بالشباب المسلم عن مقامه الرفيع الى المحل الوضيع ، يقول فى بيت : « أشكو اليك يا رب ! من ولاة التعليم الحديث ، انهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخروف » ، ومن أسباب هذا الضعف النفسى هو العقل المثبط الذى يمنع من المغامرات والمخاطرة بالنفس ، ويحذر من سوء العاقبة ، ويكبر الأخطار ، يقول فى بيت : « ان التعليم قد باعدك من الجنون الذى كان ينازع العقل ، ويقول له : لا تعلل ولا تثبطنى عن المغامرة ، آن الأسرار التى حجبتها عنك المدرسة لا تزال مكشوفة فى خلوات الجبال والصحارى»،

ومن أكبر أسباب هذا الضعف ، الذل والتقدير الزائد للمادة ، والنظر الى الوظيفة والمرتب كغاية للتعليم ، يقول فى بيت : « ان ذلك العلم سم ناقع للأفراد الذين ليست لهم غاية الا حفنتان من شعير » (يعنى الراتب الذى يتقاضاه الموظف) .

مآخذه على التعليم : ومن أكبر مآخذه على هذا التعليم أنه يبعث على التعطل وحب الهدوء والراحة ، ويجعل المتعلم كالمحيط الهادىء ، لا حركة فيه ولا اضطراب ، يقول فى بيت : « رماك الله أيها المتعلم بطوفان ، فان بحرك هادىء لا اضطراب فى موجه » . ، وكذلك يبعث هذا التعليم فى الشباب المسلم «افرنجية» وحب الزينة ، يقول فى قصيدة : « ان مقاعدك أيها الشباب المسلم ! افرنجية وزرابيك ايرانية ، وانى أكاد أبكى دما اذا رأيتك فى هذا الترف والبذخ ، لا خير فيك ولو أصبحت ملك الدنيا ما دمت متجردا من قوة على واستغناء سلمان » .

ومن مآخذه على هذا التعليم انه يحدث الفوضى الفكرية يقول فى بيت : « ان المدرسة تحرر العقل بلا شك ولكنها تترك الأفكار بغير نظام وارتباط » .

ومن مآخذه على نظام التعليم العصرى والمدرسة التى تمثله وتؤدى رسالته أنها مصابة بالتقليد والجمود، ومجردة من الابتكار والاجتهاد ، يقول فى قصيدة : « ان العالم أسير التقاليد والأوضاع ، وان المدرسة منحصرة فى نطاق ضيق ، يا للأسف ! ان الرجال الذين كانوا

يستطيعون أن يكونوا أئمة زمانهم أصبحت عقـــولهم بالية ، وفقدت كل نشاط وجدة فاقتنعوا بتقليـــد عصرهم » .

ان الدكتور محمد اقبال لا يرى أن هذا الجيل حي قائم بنفسه ، ويفكر بعقله ، وانه يعتقد انه ظل لأوروبا، وان حياته عارية من الغرب ، يقول في بيت : « يتراءى لك أن الشباب المتعلم حي يرزق ، ولكنه في الحقيقـــة ميت ، استعار حياته من الغرب » ، ويخاطب المتفرنج ويقول : « ليس وجودك الا تجلي الافرنج لأنك بناء قد بنوه ، هـــذا الجسم العنصري فارغ من معرفة النفس فأنت غمد محلي بغير سيف ، وجود الله غـير ثابت في نظرك ، ووجودك أنت غير ثابت في نظري » .

ومن رأيه أن نـظام التعليم الغربي قـد أضعف الروح المعنوية في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته جناية عظيمة ، فأصبح شبابا رخوا رقيقا مائعا أغيد ، لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل المكروه ، يقول في قصيدة يخاطب فيها بعض المربين : « حيا الله شبيبتك ، يا مربي الجيل الجديد ! ألق عليهم درس التواضـــع ، وهضم النفس مع الاعتزاز بالنفس ، والاعتداد بالشخصيـة ، علمهم كيف يشقون الصخور ويدكون الجبال ، فـــان الغرب لم يعلمهم الا صنع الزجـاج ان عبودية قرنين متواليين قد كسرت خاطرهم وأوهنت قلوبهم ، فانظر كيف تعيد الثقـة الى نفوســـهم ، وتحـــارب الفوضى الفكرية » ، وكان لا يغتفر هذه الجريمة يقول في موضع آخر : « أنا لا أقيم لذلك العلم وتلك الحكمة وزنا ،

الحكمة التي تجرد المجاهد من سلاحه وتجعله أعزل ضعيفا » ·

* * *

لقد أبى اليابان البوذى وأبت الهند البرهمية بل وألحتا على أن يكون التعليم والثقافة مصطبغين بصبغتهما الحضارية الخاصة ، وفلسفتهما العريقة فى القدم ، خاضعين للأسس الفكرية والجذور العميقة التى تؤمنان بها وتعضان عليها بالنواجذ ·

واضافة الى ذلك فالبلاد السوفيتية التى رفضت الأديان قاطبة ، وقطعت شوطا بعيدا فى حرية الرأى ، وشاع عنها أنها تمنح كل انسان حق الأخذ بما يحب ويختار ، وخلعت ربقة القيود والحدود ، وحاربت فكرة تقديس جميع أفراد البشر وفيهم الأنبياء والرسل والزعماء الروحيون ، وقادة الفكر وأصحاب المدارس الفكرية ، وأنكرت الاحتكار بكل أنواعه ومظاهره ان هذه البلاد لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث هو مبدأ انسانى عالمى وتراث بشرى مشاع ، وماء صافى سائغ لا يتلون بلون ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم فى خارج المعسكر الشيوعى ، ولا بادخال العلوم والآداب التى نشأت فى حضانة المربين البورجوازيين أو الارستقراطيين ـ كما تقول اللغة السوفيتية ـ والتى طعمت بأفكارهم ونزعاتهم وطرق تفكيرهم ويخاف منها اضعاف العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها · ان روسيا هذه التى حملت راية التحرر

والثورة على كل تقليد وتقديس وتحديد وتقييد ، قـد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية، ولنظريات قادتها ومؤسسى دعـوتها « كارل ماركس » و « انجلس » و « لينين » وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطا وثيقا مقدسا ، تغار عليه غيرة المؤمنين القدامى على عقائـدهم وحرماتهم وغيرة العرب الأولين على عرضهم وأهلهم ، ويعلنون ذلك من غير أن يأخذهم فى ذلك حياء أو تردد •

ونكتفى هنا بشهادة واحدة لأحد أئمة التربية فى البـلاد السوفيتية ، يقـول عالم طبيعى من كبار علماء البلاد السوفيتية Mc.Govern « أن العلم الروسى ليس قسما من أقسام العلم العالمى ، انه قسم منفصل قائم بذاته ، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف • فان سمة العلم السوفيتى الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة ، ان التحقيقات العلميـة لا تزال فى حاجة الى أساس وأن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التى قدمها « ماركس) و (انجلس (و) لينين) و (ستالين) ، اننا نريد أن نخوض ــ وفى أيدينا هذه الفلسفة ــ فى معترك العلم الطبيعى ونصارع جميـع التصـورات الأجنبية التى تناهض فلسـفتنا الماديـة والماركسية بكل حزم وقوة » •

وهكذا استطـاعت أن توفق بين العـلوم التى احتاجت اليها والمبادىء التى آمنت بها وتجعل منهـا

وحدة متكاملة متناسقة ، ولم تترك فجوة بين الحياة التى تعيشها أو تسعى اليها وبين المبادىء التى تؤمن بهـا وتدعو اليها بحماسة وقد حاربت فى سبيلها حربا شعواء ، وسلمت بذلك من الاضطراب الفكرى والقلق النفسى الذى يسود فى عالم تتوزعه القوى المتناقضة ويسوده النفاق والتناقض •

وكذلك البلاد الرأسمالية وان اشتهرت فى العالم بمبدأ التسامح الدينى والحرية المطلقة فى المذاهب والآراء ، والاستفادة من كل مصدر ومن كل انتاج بشرى فى مجال العلم والتجربة ، ان هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية التى تبذر بذور الشيوعية ، وتستهزىء بفكرة الملكية بفكرة الملكية وتثمير الثروة وتنظيمها على غير أسس الشيوعية الماركسية ، ولا تسمح ولا تفكر فى استيراد أقل عدد من الأساتذة من البلاد السوفيتية مهما بلغوا فى البراعة والابداع ، والتفوق فى العلوم والفنون ، ولم يقف الأمر على هذا الحد بل قد أصبح قادة التربية والتعليم فى الغرب لا يرون استيراد منهج تعليمى من بلد الى بلد ولو كانا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية فى الاجتماع ، والنظرة الواحدة الى الانسان والحياة والكون • فلا تفكر انكلترا فى استعارة المناهج التعليمية والنظريات التربوية من فرنسا ولا فرنسا من انكلترا ــ وهما الحليفتان فى الحروب والزميلتان فى

الصلح ـ فضلا عن أن تقتبسا هذه المناهج من ألمانيا المنافسة الدائمة لهما ، البغيضة القديمة اليهما ٠

وقد جمعت اللغة الانجليزية والثقافة الانجلوسكسانية والمصالح السياسية الكثيرة، والزمالة المتكررة في حربين عالميتين، والمشاركة فى الدم والنسل الى حد كبير بين الشعب البريطانى والشعب الامیركی ، وساد في البلدين المذهب البروتستانتى فهو مذهب الأكثرية الساحقة فى هذين البلدين ، ولكن رغم هذه الالتقاءات كلها لا يرى الموجهون لسير التربية والتعليم والواضعون لسياستها فى أمريكا استيراد مناهج التعليم وموادها من بريطانيا ومن رأيهم أن النظام التعليمى ليس من البضائع التى تستورد من بلد الى بلد ، كالمصنوعات أو المواد الخام أو مرافق الحياة ٠ يقول الأستاذ الأمريكى الدكتور Dr. J.B. Conant فى كتابة التربية والحرية Education and Liberty :

« ان عملية التربية ليست تعاطٍ وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر الى الخارج أو تستورد الى الداخل ، اننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية والأوروبية الى بلادنا الامريكية » ٠

ان التربية ـ فى نظر هؤلاء القادة الذين يغارون على شخصية وذاتية بلادهم ـ لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضلة وأهدافها التى تعيش بها ،

وتموت فى سبيلها : انه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها وبيئاتها التى تعيش فيها ، والآداب والعادات التى تحتضنها والتاريخ الذى تغار عليه والنماذج والمثل العليا التى تعشقها وتتغنى بها ، ونحن المسلمين بالأولى يتحتم علينا أن نجعل عقائدنا التى جاءت بها النبوة الأخيرة، والدين الذى لم تعبث به يد التحريف والمسخ، ولم يخضع لقانون التطور والارتقاء ، كما خضعت له الديانات الأخرى وعدلتها وهذبتها التجارب ، كما دل على ذلك تاريخ هذه الديانات وهى خاضعة لهذا القانون ، ولهذه العوامل الانسانية دائما ، ولا تتمتع العقائد عندها ولا الحدود الفاصلة بين الكفر والايمان ، والدين والزندقة ، والتمسك والتحلل بالأهمية والسلطان ، كما تتمتع عقائدنا الدينية • وليس لديهم بين الكفر والايمان ما لدينا من خطوط فاصلة ، وحدود حاسمة وفوارق واضحة لا تسامح فيها أكبر شخصية ، ولا تراعى فيها أكبر مصلحة ، فالديانات والعقائد فى أمم أخرى رقيقة مائعة أحيانا ، مبهمة غامضة أحيانا أخرى • وكذلك الشخصية الاسلامية فانها شخصية واضحة الملامح ، معلومة الحدود •

فنحن أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية ، وشخصيتنا الاسلامية ورسالتنا الانسانية ، فى كل ما نأخذ وما ندع ، وفى كل ما نبنى ونهدم ، وفى كل ما نقتبس ونتلقى ، من أى شعب وبلد فى العالم ،فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية والتعليم والمناهج

الدراسية والمواد العلمية على قامتنا ، وأن نخضعها أكثر من أى أمة وشعب لمبادئنا ، وأهدافنا التى نعيش لها والرسالة التى أكرمنا الله بها ، وكلفنا ابلاغها الى الانسانية كلها ، فى كل عصر ، بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » فيجب أن لا نتناول العلوم والآداب والمناهج التعليمية ونظريات التربية التى ظهرت فى الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل اليه العلم البشرى ، وأنها شيء يتحتم على الأمم الشرقية أخذه وتطبيقه على علاته وطبائعه ، وعلى ما التصق به من عناصر محلية أو عوامل وقتية ، بل نأخذها على أنها تجارب بشر يخطىء ويصيب ، ويمشى ويتعثر ، ويبصر ويعمى ، ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها ، وختم عليها بختم لا يفض بل نأخذها على أنها مواد خامة ، ونصنع منها ما نشاء وفق حالتنا وحاجتنا ، ونفرغها فى قالبنا ، ونجردها مما اقترن بها — فى غير لزوم ولا مبرر — من عوامل الالحاد والافساد ، والاستخفاف بالقيم الخلقية ، ونأخذها نقية صافية مهذبة منقحة ، بل نطعمها بالايمان بالله والنظر العميق — المؤسس على الايمان — الى الكون ، وهكذا نجعل العلوم والدراسات كلها فى غير تعسف ولا ارهاق ، وسيلة للعلم والحكمة وسبيلا الى الايمان والمعرفة فتكون مصداقا لقوله تعالى : « ويتفكرون فى

خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا »
وقوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » ٠

انها أعظم تجربة فى العالم الاسلامى اليوم ، تقضى بها الظروف الحاضرة ، ويفرضها الصراع القائم بين العلم والدين ، وبين الطبقة المثقفة الحاكمة ، وبين الجمهور المؤمن السليم ٠

ولم تعد التربية والتعليم غاية فى الأمم التى بلغت سن الرشد واستكملت الوعى ، وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى ، بل أصبحت وسيلة ، وقد كان العالم فى دور طفولته العقلية ينظر الى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف ، ثم أصبح كل ذلك — مع تقدم العقل البشرى والتجارب الطويلة — وسيلة لغاية ، فلا غرابة اذا كان قد نظر الى التربية والتعليم والى المدارس ومراكز الثقافة والمكتبات ودور النشر باعتبارها غاية ، ولا تزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة فى الشرق ، فنحن اذا علمنا عددا كبيرا من أفراد الشعب فن القراءة والكتابة ، واذا أسسنا عددا من المدارس والكليات فى بلد ، شعرنا بأننا قد أدينا الرسالة وحققنا الغاية ٠

ولكن الغرب الذى هام بالتعليم أكبر هيام ، وحمل رايته خفاقة فى العصر الأخير ، واشتهرت أكثر دوله وأقطاره بالعلمانية وبالحياد تارة ، وبالالحاد تارة أخرى ، لم يعد ينظر الى النظام التعليمى والى المناهج التعليمية ، من حيث هى آلات صماء لتعليم القراءة

والكتابة ، ونقل المعلومات مبعثرة لا تربط بينها وحدة ولا تجمع بينها غاية ، ولا يسيطر عليها ايمان وعقيدة ، ولا تصل الجيل الحاضر بالماضى ، والأبناء بالآباء ، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر الى النظام التعليمى من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضى ، والخلف بالسلف ، والمعلومات بالعقائد وتدعيم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحجة ، ويعتبر هذا النظام التعليمى الذى ينفق عليه أكبر جزء من ثروته ، وأعظم قسط من مجهوده ، وأوفر نصيب من ذكائه ، عملية بناء وتكوين ، لا عملية هدم وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الأفراد ورباطا بين الجماعات لا وسيلة ثورة فى الأفكار ، واضطراب فى النفوس ، وتفكك فى العرى والقوى •

وهنا ثلاثة شواهد لثلاثة من قادة التربية والتعليم وأئمة الفكر فى العالم الغربى المعاصر ، يقول (سيربرسى نن Sir Bercy Linn) الذى يحتل الصدارة بين خبراء التعليم فى بريطانيا فى مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية « لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتربية ولكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعا : أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب ومربوه لانشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها • ان وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ تلك القوى الروحية التى تتصل بنظرية الحياة ، وتربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمد يدها الى الأمام » •

وأن (جون ديوى John Dewuy) الذى كان تأثيره فى نظام التعليم الأمريكى أكبر من تأثير أى رجل فى هذا العصر ، يقول فى كتابه (الديمقراطية والتربية Democracy and Education) (أن الأمة انما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، ان هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ، ونظرية حياتها ، وتصوغهم فى قوالب عقائدها ومناهج حياتها » ويقول البروفيسور كلارك Brof Clark : « مهما قيل فى تفسير التربية فمما لا محيص عنه أنها سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الايمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وجهاد فى سبيل تخليدها ونقلها الى الأجيال القادمة » .

وعلى هذه النقطة تضغط اسرائيل ضغطا شديدا ، فهى من أشد الدول تمسكا بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التى تعبر عنها وتضم ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقدمية ومسايرة الدول الأوربية الراقية وتوفر عدد كبير من البارعين فى العلوم العصرية واللغات الأجنبية ، وجاء فى كتاب « التربية فى الشرق العربى » وضع الدكتور رودرك ماثيوز والدكتور متى عقراوى : « أن أهم ما يسترعى الأنظار فى المدارس الاسرائيلية فى فلسطين أن لغة الدراسة فى كافة المواد هى العبرية فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، والعناية شديدة فى جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الدينى أساس الصهيونية وتقدمها » .

ويفهم مما يلى هذه العبارة أن جميع أنواع المدارس الاسرائيلية أو اتجاهاتها تبعا للأحزاب التى ينتمى اليها آباء التلاميذ رغم اختلاف هذه الأحزاب فى مثلها العليا التعليمية والدينية والسياسية تلتقى على هذه الفكرة الأساسية وتعنى عناية خاصة بالتربية الدينية ، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هى النبراس الذى ينبغى أن تستهدى به نظم التعليم ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين ، أى أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية(١) .

وجاء فى مقال (التعليم العالى فى اسرائيل) فى مجلة فلسطين مقتبسا من الدراسة التى قدمتها دائرة البحوث والدراسات فى الهيئة العربية العليا لفلسطين ما يلى : « ان سياسة التعليم العالى تهدف الى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها . بالاضافة الى الدعاية لاسرائيل وكسب الأصدقاء) وفى المقال تفاصيل هائلة عن العناية باللغة العبرية وجامعاتها وميزانيتها وتمويلها وما يبذل لها اليهود من عناية فائقة ، وأموال طائلة ، وتنظيمات دقيقة .

وكان أساس هذا التفكير كله ـ الذى يجعل التربية وسيلة لتدعيم العقيدة ، والقيم ، والمفاهيم ، التى يؤمن بها الشعب ، وتنميتها وذكائها ـ أن الأصل هو عقيدة الأبوين ، وارادتهما ، وأن لهما الحق الأول فى

---

(١) راجع الفصل السابع عشر ، (المدارس الاسرائيلية ومناهجها) ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

اختيار الوضع التعليمى لابنهما ، الذى هو قطعـــة من نفسهما ، ووارث أعمالهما وأحلامهما .

وقد جاء فى حكم محكمة الاستئناف فى ولايـة بومبائى (الهند) فى شأن المرافعة التى رفعتها هيئة التعليم (المسيحية) فى بومبائى ضد حكومة الولاية ، وطلبها من المحـكمة ان تمنع الحـكومة من تعليم أبناء المسـيحيين ، ما لا يرضـاه آباؤهم ، فأصـدر رئيس القضاة ، وقاض آخر الحكم الذى جاء فيه :

« الشيء الذى يتمتع به المواطن فى ديمقراطية ، والذى له قيمة كبيرة هو حرية الفكر ، والذى لا يقبل جدلا ولا نقاشا ، أن النظام السهل السـاذج لضبط الفكرة ، هو الاشراف على نظام تعليم الشباب ، . .

. . . .

ان الحكومة ليس لها حق فى أن تقهر الأبوين ليعلما ابنهما التعليم الذى ترى وحدها ، أنه « التعليم الصالح » وفى اعلان الحقوق الانسانية الذى تشترك الهند فى عضويته، يوجد كما يلى : « المادة ٦ » (رقم ٣) » الأبوان لهما الحق الأول فى أن يختارا نوع التعليم الذى ينبغى أن يتلقاه طفلهما .

لذلك لما كان من حق الحـكومة أن تجعـل التعليم اجباريا ، وتهييء الأسباب والمرافـق لتلقى التعليم ، وتطبق منهاجا خاصا للتعليم فى مدارسـها ، لا يزال للأبوين الحق فى أن يقررا هل يذهب طفلهما الى هذه المدرسة أو تلك المدرسة ، وأن يتلقى تعليمه فى هـذا

الأسلوب أو أسلوب آخر[1] ·

فاذا كانت الأمم الغربية التى ضعفت صلتها بالعقيدة المسيحية وانحلت رابطتها بالقيم الخلقية التى دعت اليها تعاليم المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وساد فيها الشك والاضطراب وعدم الثقة بما يسمى حقائق ومقررات تنظر الى نظامها التعليمى هذه النظرة الخاصة ، وتستخدمه لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الحياة وانشاء الانسجام بين الفرد والجماعة ، وبين العقل والعاطفة وبين الماضى والحاضر ، فكيف بالأمة الاسلامية والبلد الاسلامى العربى الذى لم يحدث فى تاريخه ما يسمى الصراع بين الكنيسة والعلم ، والدين والدولة ، ولا وجود عنده لنظرية فصل الدين عن السياسة ، وليس الدين عنده قضية شخصية والذى لم يكن فى فترة من فترات التاريخ فريسة الالحاد المتطرف ، ولا الردة الدينية الشاملة ·

ثم ان الحربين العالميتين الطاحنتين اللتين قادهما الرجال الذين بلغوا ذروة العلم والثقافة أثبتتا فى الماضى القريب اخفاق التعليم الراقى فى تكوين الاخلاق الصالحة واحترام الانسانية والعدل مع الأمم والشعوب الضعيفة· وان الجذام الخلقى الذى تجلى فى الشباب الجامعى فى أمريكا وأوربا وفى الهند وكثير من البلاد الشرقية ، وعبث المتعلمين بالقانون والنظام ، وانسياقهم مع رغباتهم الصبيانية وأغراضهم الخسيسة ، كل ذلك دل

(١) All India Reporter 1954 S.C. 561

دلالة واضحة على أن التعليم ليس غاية فى نفسه ، بل هو وسيلة قد تنجح وقد تخفق ، وقد تنفع وقد تضر ، وقد تكون أداة بناء وتكوين ، وقد تكون آلة هدم وتقويض ، وانها اذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية والتوجيه الصالح وعن العقيدة السليمة وعن الوازع الخلقى والدينى ، فان ضررها أكبر من نفعها • لذلك أصبحت التربية والتعليم وفن القراءة والكتابة لا قيمة لها فى ذاتها عند كثير من قادة الفكر وأئمة التربية والتعليم فى العالم الغربى وأصبحت وسيلة تقوم بقيمة نتائجها وأخلاق حملتها ودورهم فى تكوين المجتمع وصيانته •

ان الدعاية الجبارة التى قامت فى بلادنا الشرقية ونشطت لتمجيد التعليم ولفن القراءة والكتابة بتعبير أصح ، وما ظهر من المبالغة والاسراف ، والخيال الشعرى فى قيمة الثقافة والتعليم العالى ، والتصوير البشع الذى صورت به الأمية فى كل حال ، والازدراء والسخرية بالأفراد الذين لم تمكنهم الفرص من تلقى التعليم الجامعى ، كل ذلك أضفى على التربية والتعليم وعلى الثقافة نوعا من القدسية والروحانية ، وجعل الناس يغضون النظر عن حقائق كثيرة وعن عيوب ومواضع ضعف فى الطبقة المثقفة فى بلادنا ، وأصبح كثير من المغرورين يفضلون المتعلم المجرم اللئيم على الأمى المستقيم الكريم ، ويفضلون العصر الذى انتشر فيه فن القراءة والكتابة وانتشر التفسخ الخلقى ،

والبلبلة الفكرية والتشكك في المقررات والمسلمات والحقائق والبديهيات ، وتشاغل الناس فيه بأنفسهم وأولادهم وفقدت الغيرة الدينية والخلقية وأصبحت المادة آله الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر على جميع علاته على عصر توفرت فيه جميع الفضائل الدينية والخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصار فن القراءة والكتابة في نطاق محدود ، وما ذلك الا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التى استخدمت لتهويل شأن التعليم والشهادات العلمية . انه تفكير سطحى يجب أن يترفع عنه احرار الفكر وأصحاب الرسالة والمؤمنون بقيمة الاخلاق والأعمال الصالحة والمميزون بين الوسائل والغايات .

لقد أثبت التاريخ مرة بعد مرة أن الشعوب التى تتخذ الوسائل غايات والعلوم والفنون آلهة تعبد ويقوى فيها النظر والجدل على حساب الخلق والعمل ، ويكثر فيها الافتتان (بالفنون الجميلة) وتضعف فيها الارادة وقوة المقاومة للمغريات ووسائل الترفيه والتسلية وتضعف فيها الغيرة والحمية ، وتعشق الحياة والملذات ، وتنتشر فيها البلبلة الفكرية ، وينتشر فيها التشكيك الشامل للعقائد والآداب والاستخفاف بجميع التقاليد والعادات التى كان فيها الشيء الكثير من القوة والصلاح . ويتطاول فيها الريب الى مصادر الدين ومراجع التاريخ والى الشخصيات القديمة ، والحوادث التاريخية والى الأعراف والعادآت ، يقود هذه الحملة فيها كبار الأساتذة

وحذاق الأدباء ونوابغ الباحثين وحملة الأقلام ومنشئوا الصحف ، وينتشر هذا السم فى كل طبقة من طبقات الأمة ويتسرب الى عقول الشباب ونفوسهم ، ويتغلغل فى احشائهم ، فان هذه الأمة لا تثبت أمام أى عدو زاحف أو قوة مهاجمة ، ولا تثبت فى معركة يوما واحدا، وهذه قصة اليونان وقصة الرومان ٠

فلنكن واقعيين ولنحكم على التعليم الراقى وعلى الثقافة الغربية الحكم الصحيح الدقيق ، المؤسس على التجارب والحقائق ، ولا ننظر اليها كالدواء الوحيد ولا ندن لها بالعظمة والتقديس ، ولنضبطها بعناصر مقومات تنفى عنها عوامل الضرر والافساد ، ودواعى الزيغ والالحاد والاتجاه الزائد الى الميوعة والتحلل ، والاضطراب والتشكك فى كل شىء ، ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا وشخصيتنا الاسلامية ، وطبيعتنا العربية الشرقية ولنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة ومبادئنا ونجعلها جندا من جنودها ٠

و (لا اكراه فى الدين) وتاريخ الاسلام لا يعرف محاكم التفتيش ووسائل التعذيب التى امتازت بها القرون المظلمة فى أوروبا ، ولكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، ولكن لا يسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف وفقد الثقة بالمبادىء والأسس الاسلامية ، ولا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية والمنافسة وللمعسكرات الأجنبية فى عاصمة الاسلام وفى حصن الدعوة وفى ثكنة الجيش الاسلامى ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشرح صدره للعقيدة الاسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وامامته الخالدة

العالمية وفضل تعاليمه ، ومن آمن بالفلسفات الأجنبية، واقتنع بها وتحمس لها فليس له محل فى الحقيقة فى المجتمع الاسلامى ولا يجوز أن تتاح له الفرص وتهيأ له الوسائل فى توجيه العقول وتربيـة النفوس ولا يصح أن تقدم له أفلاذ أكباد هذه الأمة المسلمة وخيرة شبابها ليصنع من هـذه الفطر السـليمة التى هى من أكرم ذخائر العالم الاسلامى وأنفس ثرواته وأكثرها استعدادا للنبوغ مصنوعات لا تنسجم مع العقيدة والدعـوة التى قامت عليها وعاشت لها هذه الأمة منذ أكثر عن ألف سنة .

خطوط عريضة للجامعة الاسلامية

لابد من تحديد هدف لهذه الجامعة . فالجامعات فى العالم الاسلامى كثيرة وقديمة وكبيرة فلابد لهذه الجامعة الوليـدة من ميزة تمتاز بهـا وشـعار يميزها بين شقيقاتها .

وهدف الجامعة الاسلامية يتلخص عندى فى جملة واحدة وهى تخريج الدعاة الى الله ، القائمين بالدعوة فى فقه وبصيرة وتعمق ، وهى تستدعى الرسوخ فى العلم والدين والاطلاع على ما تجـدد ويتجدد فى هذا العصر الجديد ، والايمـان الجديد بخلود رسـالة الاسـلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان واقتناعـه بأن محمـدا صلى الله عليـه وسلم هو خاتم الرسل ومنير السـبل وامام الكل ، واذا ملأت هذه الجامعة هذا الفراغ باذن الله قامت بعمل تجديدى عظيم تشتد حاجة المسلمين اليه .

ويجب أن يكون هذا الهدف نقطة يدور حولهـا

نظامها ومناهج دراستها ويقوم عليها جهـــازها العظيم ويخضع كل شيء في هـــذه المؤسسة من كتب ونظم وأساتذة لهذا الهدف ·

والآن أحب أن أتكلم عن وسائل تحقيق هـــذه الفكرة في شيء من التفصيل وأحرص بقدر الامكان على طرق ايجابية عملية ·

المواد الدراسية الأساسية :

يجب أن يكون من المواد الدراســية الأســاسية الكتاب والسنة والسيرة النبوية ·

أما القرآن فيجب أن يدرس كالكتاب المعجز الخالد الذى لا يأتيه البــاطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بطريقة يؤمن بها الطالب بخلود هذا الكتاب العظيم واعجازه وبكونه المفتاح الرئيسى لأقفال الحياة · وتكون عقيـــدته وهتافه (ان ربى على صراط مستقيم(١)) ولا يؤمن به مجرد ايمـــان بل يتذوقه ويمتلىء بحبه حتى يملك عليـــه ذلك مشاعره وتفكيره فهو الكتاب الوحيد الذى يرافقـــه فى رحلته الطويلة المعقدة وهو الذى يفتـــح به كل قفل ، ويحل به كل مشكلة ، وينتصر به على كل معارضة ، وبمقدار تذوقه والتضلع منه والنزول فى أعماقه ومقدار ايمـــانه به وثقته واستحضاره له يستطيع أن يؤدى مهمته ويتغلب على الصعوبات ·

وينوه فى تدريس القرآن بصفة خاصة بعقيـــدة

---

(١) سورة هود : الآية ٥٦ ·

التوحيد النقية الخالصة ويجب أن يكون أساس علم التوحيد وشرح العقيدة الاسلامية والبحث فى الذات والصفات كما شرحه الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه الصحابة والتابعون لهم باحسان . وليس هناك طريقة أفضل وأقرب الى الفطرة السليمة وأسهل فهما وأشد تأثيرا فى العقول - عقول كل عصر - من طريق القرآن بحيث يرجع الطالب الى بلاده وبيئته وهى بيئة موبوءة فى أكثر الأحوال بالعقائد ذات الصلة بالشرك وعادات جاهلية ، داعية الى التوحيد النقى صارخا (ألا لله الدين الخالص) وليس ما يسميه الناس بعلم التوحيد والكلام ووضعوا فيه كتبا طوالا تكونت بها هذه المكتبة العظيمة فى علم الكلام أوفى بالمقصود وأوقع فى النفوس وأنقى للشك وأدعى الى اليقين والايمان وأشرح للصدور من علم العقيدة الذى يتضمنه القرآن ويقرره فى أسلوبه السائغ الواضح الذى تقبله الفطر السليمة والعقول المستقيمة فى كل عصر وجيل ، فيجب على الأستاذ أن يجعل القرآن أساسا وقاعدة لشرح العقيدة الاسلامية ، فمنه يستقى واليه يرجع ، وأسلوبه يقلد ولا يستطيع أن يقوم لهذا العمل الا أستاذا قد تذوق القرآن وأصبح له شعارا ودثارا وكانت له بهذا الكتاب صلة قوية عميقة صلة شخصية لا تعتمد على الكتاب والدراسات وحدها ، وليست صلة دارس للكتاب بل صلة رجل يعيش بهذا الكتاب وفى هذا الكتاب .

ثم السنة يجب أن تدرس بطريقة يؤمن بهـــا الطالب بقيمتها العملية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الانســاني على أسس ايمانية جديدة وتكون العنــاية بنواحيها الخلقية والاجتماعية وتكون السيرة وتربيــة النفوس ووصلها بالله أبرز من ناحيتهــا الفقهية وهى ناحية مهمة لا شك ولكن لا ينبغى أن يكون البحث فى المسائل الخلافية على حساب موضــوعها ورسالتها وهى تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق والاقبــال من الآخرة والزهد فى حطام الدنيــا والرغبة فى العبادة ، وأن ينشأ الطالب على حب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع سنته فى الحياة كلها لا في قضايا معدودة اختلف فيها الأئمة والمجتهدون واختلفت فيها الأحاديث والروايات .

ويجب أن تراعى الشبهات التى وجهت الى مكانة السنة فى الشريعة الاســلامية وحجية الحديث وتاريخ تدوينه وما أثاره ويثيره المستشرقون بين حين وآخر من أسئلة ومناقشات سوف يواجهها المتخرجون فى هــذه الجامعة والدعاة الى الله والعاملون فى الحقل الاســلامى ويجب أن يكون على بينة من أمره وثقة بهذه المؤسسة العظيمة التى تنبثق من كتب السنة ومكتبة الحديث .

ويجب أن يتخرج الطالب من هذه الجامعة واســع الصدر رحب الذراع ميالا الى جمع كلمة المسلمين ولم شتاتهم ويقصر الفجوة بين المذاهب وأهلها ، حسن الظن بالأئمة المجتهدين والسلف المتقدمين ، كارها بعيدا عن

توسيع الفجوة بين طوائف هـذه الأمة وطبقاتها وبين الماضى والحاضر غير مثير للضغائن والأحقـاد القديمة ، والأمة لا تطيق اختلافا جديدا واثارة للدفائن وما عفاه الدهر ٠

أما السـيرة النبوية فيجب أن تـكون من المواد الدراسية الرئيسية اذ هى من أقوى العـوامل لتكوين السيرة وتكوين الايمان بعظمة الرسول صلى الله عليـه وسلم والباعث على حبه فيجب الاكثار من هذه المـادة ويجب أن يعيش الطالب مـع أستاذه أو أسـاتذته فى هذه البيئة وفى هذا الجو ، ووجود هـذه الجامعة فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى جواره الكريم يوجب التضلع والتأثر العميق بهذه المادة ، ويجب أن يكون تدريس السيرة أو دراستها بطريقة مؤثرة مرققة حية لا تنقل هذه السيرة الى الطالب بل ينقـل الطالب اليها والى أجوائها حتى يشعر أنه يعيش مع الرسـول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى عصره ويمتلىء حبـا بهذه الشخصية الفريدة واجلالا لها ويؤثرها على نفسه وعـلى كل شخصية عرفهـا وأحبها من الشخصيات القديمة أو المعاصرة ، ويحسن أن تكون سيرة ابن هشام من المواد الدراسية ويحث على مطالعتها والاشتغال بهـا والتضلع منها ٠

وفى هـذه الناحية يشار الى شـكوك وأسئلة أثارها المستشرقون والى دسائسهم وتوضيح سوء نيتهم وضعف مأخـذهم وقلة علمهم وتعمـدهم للتشكيك

والاختلاق واخفاء الحق والتلبيس ويناقشون مناقشة علمية قوية مؤسسة على الدليل والبرهان قائمة على أساس التاريخ والعلم الحديث ويبرز فى السيرة النبوية مواقع العظمة الانسانية وجوانب الاعجاز والعبقرية وصلاحية هذه الشخصية الكريمة لتكون قدوة لجميع الأجيال وأسوة حسنة لجميع طبقاتها وأفرادها والشخصية التى لا تسعد البشرية ولا تتزن الحياة ولا يقوم المجتمع الصالح الا بالاقتداء بها واتخاذها اماما ورائدا .

ويلى هذه المواد الدراسية الأساسية فلسفة التشريع الاسلامى وحكم الشريعة وأسرارها ومقاصدها على أساس يخلو من التقليد والتطرف على منهاج حجة الله البالغة للامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى مع مراعاة تطور العصر الحديث وما جد فيه من نظريات وفلسفات واتساع دائرة البحث والتفكير فيه حتى شملت الحياة كلها وتناولت العلوم كلها .

ويليه كذلك علم الفقه وأصول الفقه فالذى أراه أنه لا غنى عن تدريس المذاهب الأربعة واختيار الكتب أو كتاب يعتمد عليه فى ذلك المذهب ، فاذا تخرج الطالب فى هذه الجامعة جاهلا بمذهبه ومذهب المجتمع الذى سيعيش فيه ويقوم بدعوته فى تلك البيئة لم يحسن القيام بأعباء الدعوة ولم يكن بينه وبين بيئته اتصال يمكنه من النفوذ فيه ، واحراز ثقته ولكن لابد أن يكون تدريس هذه المذاهب بروح التسامح والميل

للتوفيق واتساع أفق الفكر وحسن التعليل للمذاهب الأخرى ٠

المواد الأخرى

الأدب العربى :

ولا تجوز الاستهانة فى هذه الجامعة التى ستخرج الدعاة بقيمة الأدب العربى ولا يجوز الاقتصار فيه على مستوى ضعيف ، ومجرد مشاركة أو المام ، فما زال الأدب ولا يزال أقوى عامل للهدم والبناء وغرس الفكرة واقتلاعها من النفوس وقد كان الدعاة الى الله من عهد سيدنا على بن أبى طالب الى الحسن البصرى الى الغزالى وابن الجوزى الى من نبغ منهم فى الماضى القريب من الطبقة الأولى فى البلاغة والتعبير وحسن الأداء وقوة التأثير ، بل كان كثير منهم أصحاب أساليب ومدارس أدبية ومن أئمة البيان ، وقد كانت ولا شك مكانتهم الأدبية وسليقتهم العربية من أقوى جنود الدعوة وأسباب الانتصار والانتشار لفكرتهم ، وقد استغل الأدب فى هذا العصر قوم لاهدار القيم الخلقية وغرس الشك والنفاق فى النفوس والمجتمع وتزيين الفحشاء والمنكر ونشر الأفكار الزائفة والفلسفات الهدامة ولا يقاوم ذلك ولا يقوم فى وجهه الا أدب قوى دافق بالحياة وكتابة أصيلة مشرقة الديباجة ، وأسلوب من أحدث الأساليب وأقواها ولا يتأتى ذلك الا بالتضلع من الأدب القديم ومصادره ونقد الأساليب الجديدة والاطلاع الواسع عليها والممارسة للكتابة والانشاء ، ولابد لذلك

من توجيه ، أساتذة لهم مكانتهم فى الأدب والحـــديث ويعدون فى طليعة الأدباء والمنشـــئين الناقدين وهى حاجة من أهم حاجات جامعة اسلامية تقوم على أساس الدعوة والتوجيـــه وقد أصبح الأدب أشـــد تأثيرا فى العقول والاتجاهات من الفلسفة وعلوم الطبيعة ، وقد تمالأ مع الالحـــاد وأصبح من أكبر أنصاره ورائديه ، فلابد من أن يواجه النار بالنار وتقابل الريح بالاعصار ويضرب الأدب الملحد المتحلل بالأدب الاســلامى القوى المؤثر ، وقد جنى عـــلى الدعوة والدعاة ضعف التعبير والكتابة البعيدة عن التأثير وأفقـــدها كثيرا من الوقع فى النفوس والسيطرة على العقول •

العلوم العصرية الجديدة :

ولابد لأبناء هذه الجامعة ومتخرجيهـــا من الاطلاع على العلوم العصرية كعلم الاقتصـــاد والسياسة ولبعض العلوم الطبيعية والجغرافية والتـــاريخ اذا لم يصل الى درجة اطلاع الامام الغزالى وشيخ الاسلام ابن تيمية على العلوم العقلية التى شاعت فى عصرهم فلابد أن يكون فى درجة اطلاع القساوســة والمبشرين والمتخرجين فى كلية القسس فى (الفاتيكان) والذى يجهل هـــذه العلوم أو لا يرتقى فيهـــا على درجـــة العوام والسوقة لا يقوم بمهمتـــه ولا يتمتـــع بالثقـــة والاحترام فى المجتمع •

الحاجة الى مجتمع علمى اسلامى :

وكان الأمثل أن يكون مجمع علمى اسلامى يؤلف

فى هذه العلوم كتبا تجمع بين جـــدة الاطلاع وغزارة المـــادة ومتانة البحث وبين اثبات العقيدة الاسـلامية والتوفيق بين العلم والدين ، ولكن فاتنا وفات الحكومات الاسلامية هـــــذا الانتاج العلمى الذى كان المجتمـــع الاسلامى وجيلنا الجديد فى أشد الحاجة اليه وكان ذلك وحـــده يجنبنا الصراع بين العلم والدين الذى أصبح العـــالم المسيحى فريسة له وكان من أعظم أســـباب انتشار الالحـــاد واتجاه العالم المعــاصر الى الثورة على الدين وعدم الثقة به ، وبوسع الحكومات الاسلامية اذا صح عزمها وتيسر لها الرجال الأكفاء أن تملأ هـــــذا الفراغ الذى يشعر به رجال الفكر والدعوة فى العــالم الاسلامى القائمون على المؤسسات العلمية والتعليميـــة فى مختلف أنحائه .

أساتذة مؤمنون :

ولكننا اذا فاتنا هذا العمل الجليل فى الماضى ولا نستطيع أن نوقف عملية التربية ، ونعطل جهاز التعليم فيمكن أن يتـــدارك ذلك الى حد ما باختيار أســـاتذة يجمعون بين متانة العقيدة والاقتناع بالاســـلام كدين خالد أبدى وبين الاطلاع الواســـع العميق عـلى العلم الحديث ، هـــؤلاء الذين يميزون بين القشر واللبـــاب والزائف الفج غير الناضج من الآراء والنظريات وبـــين المختمر الناضج الحصيف من الآراء والتجارب ، الذين لا تغرهم الدعاوى العريضة والطبول الفـــارغة ، بل يعتمدون دائما على حصيلة الاختبارات وعصيرة التفكير ،

من الشقاء الطويل والويل الـكبير ، هذا التاريخ الذى يجعل شبابنا الواعى يفكر فى الجهاد لانهاض المسلمين واعادة الاسلام الى مركزه فى قيادة العالم ٠

ومفتاح المفاتيح فى هــذه الجامعة وجود أساتذة يجمعون بين الايمــان القوى الراسخ والعـلم العميق الواسع ويجمعون بين القدوة الصالحة وبين دراســات واســعة يتضلعون من القـديم ويفهمون روح العصر الحديث ومشكلات الشباب ونفسيتهم وطريق حلهــا ، متصلبون فى الأصول متوسطون فى الفروع ، يتورعون فى دينهم عن المداهنة وفى العلوم عن الجمــود وضيق التفكير ، أخذوا من القديم الرسوخ والتبحر فى العلم ومن الجديد الاستطلاع وحب الواقعيــة

والله الهادى الى سواء السبيل ٠٠

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٣/٥٣٣٤

مطبعة الاعتصام بالقاهرة

موضـــوع التربيـــة فى الحكومات ، والبلاد الاسلامية ، وكيف يجب أن تكون سياسة التعليم والى أين تتجه ؟ ، وما هى الأهداف الصحيحة ، والمثل العليا ، التى يجب أن تهدفها ، وتسعى لتحقيقها ؟ هو موضوع الساعة الذى يشغل قادة الفكر ، والمهتمين بشـــؤون العـالم الاسلامى فى جميع أنحـــائه ، ولعله هو الموضوع الحســـاس الحاسم الذى سيقرر مصـــير الأمة الاسلامية ، ويصـــوغ مستقبلها .

وهـــذه الدراسة نقدمها الى قادة الفكر ، والعاملين فى حقل التعليم اسهاما منا فى هـــذا الجهاد المقدس ، وفى هـــذا العمل البنائى الايجابى ، الذى هو أكبر حاجة العالم الاسلامى الآن ..

المختار الاسلامى

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب ١٧٠٧

هاتف ٩٣٦٤٩٦

مطبعة الاعتصام بالقاهرة

ص ٧